

منشئ المجلة

إيظون الجعيتن

الشمس

المدير المسؤول

امين تقى الدين

الجزء الثالث

مايو (ايار) ١٩٩٣

السنة الرابعة

## شاعرية خليل مطران<sup>(١)</sup>

على راية الفرقة يعلق القائدُ شارةَ المجد والشرف ، عندما يبلي  
أفراد تلك الفرقة البلاء الحسن في مواقع القتال . . .

وفي ميدان النهضة الادبية الحديثة أبلى شعراؤنا بلاءً حسناً ،  
فكان سمو افندينا المعظم قد علق تلك الشارة على رايتهم اذ وضعها على  
صدر شاعرنا خليل مطران . . .

فليهنأ الخليل حامل لواء الشعر العصري ؛ وليهنأ النيشان الذي حلَّ  
على صدر يحوي الدرّ والجوهر ؛ وليُحمد ملك البلاد على آلائه وليُشكر . . .  
أما بعد . فقد رأيت أن خير ما يصاغ من النهائي في مثل هذا  
الاحتفال الزاهر هو حديثٌ أطار حكم اياه ، ايها السادة ، عن المحتفل به  
وعن شاعريته . فأقول :

« منشده للغرام لم يشدُ إلا كان إنشاده نواحا شجيا »

(١) خطاب قدمه منشئ هذه المجلة الى « مجلة سر كيس » بمناسبة حفلة تكريم خليل

افندي مطران

« شاعرٌ كان عمرُهُ يَتَّ تشبيهُ وكان الأئِنَّ فِيهِ الرويَا »  
 « إِنَّ فِي نَظْمِهِ لِحَسًّا لَطيفًا بَاقِيًا مِنْهُ فِي السُّطُورِ خَفِيًّا »  
 هي أبيات كتبها خليل مطران على الصفحة الأولى من ديوان  
 الشاعر الفرنسي « ألفرد ده موسه » . ولا يسع من ينظر فيها إلا ان  
 يقابل بين حالتَي الوَاصِفِ والموصوفِ ، وشعر الأول والثاني ، فيجدها  
 تنطبق أتم الانطباق على الاثنين : كأن الشاعر العربي وصف حاله لما  
 وصف حال الشاعر الافرنجي . . .

من المعروف أن حياة الكاتب ، والمحيط الذي ينشأ ويعيش فيه  
 تأثيراً كبيراً في كتابته . ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في شعر خليل :  
 دبُّ شاعرنا وشبُّ تحت سماء سوريا الجميلة ، بين جبالها وقمها  
 البيضاء ، أمام بحرها الصافي وأمواجه الزرقاء ، فجاء شعره رقيقاً لطيفاً...  
 ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدينة القديمة وصروحها المظيمة ،  
 فكان إنشاده نغمًا عظيمًا . عاش تارة في القرى والجبال ، فتشرب حب  
 الفضيلة والطبيعة ، فأسمنا الشعر زاهراً طاهراً ؛ وعاش طوراً في المدن ،  
 فراءه ما فيها من التعاسة والشقاء ، فألقى علينا إنشاده مبكياً زاجراً  
 قال في مقدمة ديوانه ان القارئ « يدارجة مدارجةً تمثلهُ لديه في  
 كل حالة مرَّ بها » ولقد أصاب في ذلك ، فان شعره بالحقيقة رسمٌ تمثَّلت  
 لنا فيه كل أطوار صاحبه ، وارتسمت بين أبياته كل عواطف قلبه ،  
 وتأثرات فؤاده . وهذا سرُّ محاسن شعره العديدة

وصف لنا خليل حياته في صباه ، بين آثار بعلبك ، فتمثلناه :

« نَزَقًا يَبْتَنُّ غَرًّا لَوْبًا      لَاهِبًا عَنِ تَبْصُرٍ وَاعْتِبَارِ »  
« مُسْتَقَلًّا عَظِيمًا مُسْتَحْضًا      مَا بِهَا مِنْ مَهَابَةٍ وَوَقَارِ »  
« نَبَارِي عَدَوًّا كَأَنَا فَرَاشًا      رَوْضَةً مَا لَنَا مِنْ اسْتِقْرَارِ »

ثم بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاه :

« فِي هَجْرَةٍ لَا أُنْسَ فِيهَا      لِلغَرِيبِ وَلَا صَفَاءِ  
تَتَقَاذَفُ الْأَفَاقُ بِي      قَذْفِ الْعَوَاصِفِ لِلْهَبَاءِ  
وَتُحِيطُ بِي لَجْجُ الصَّرُوفِ      فَمِنْ بَلَاءٍ فِي بَلَاءِ »

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطراً شطراً، من مطالعة

ديوانه سطرًا سطرًا

قلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر ؛ وهذا ما قوى فيه الخيال والشعور . ومعروفٌ أن هاتين القوتين هما جناحا الشاعر يحلق بهما الى أعلى سماء الشعر ؛ ويأمن تهنئتهما اذا كانت العقل رائده في حياته العلوية . وقد قال في مقدمة ديوانه إن شعره هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال » أي ان الذي أوحاه هو الحسُّ والعقلُ والخيالة . وهذا هو التقسيم الذي تتبعه في درس شعره :

### ١ - الخيال :

هو أقوى قوانا العقلية لأنه وحده القوة الفاعلة الموجدة ، وسائر القوى ، كالحس والحافظة والعقل ، ليست الا قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدده مرموتل « صورة تكلم او كلاماً

يصوّر» ، وهو كذلك ، يكون الخيال شرط الشاعرية الأول . وقد قيل :  
« الشعر هو ابنُ الخيال البكر » . وبفضل هذه القوة يفوق الشاعرُ  
المصوِّرَ ، لأنه بكلمة واحدة كثيراً ما يمثلُ لنا شهيداً يقتضي تصويره  
ألواناً مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيراً ما رأينا « خليلاً » أدقَّ تصويراً  
وأبلغ رسماً من أشهر المصوِّرين ، فاذا وصف مثلاً الجنديَّ الجريح وقائده  
يقلِّدهُ وساماً ، قال :

« . . . . . قلِّدهُ وساماً وكلُّ جراحةٍ فيه وسامٌ »

وإذا كانت نفسه مثقلةً بالهم ، يرى ذلك الهم

« . . . . . كبحرٍ ضمَّ في جوفه البعيد غريقاً »

وإذا شكت عينه المسهَّدة طول الليل ، فهي :

« تحسب السرجَ في حشاهُ قروحاً وترى الشهبَ في سماهُ حروقا »

وهذا بيتٌ تكاد تكون كلُّ كلمةٍ فيه صورةً حسية

وإذا تبسم أمامه عبدٌ يرى ابتسامه

« . . . مثل وميضٍ في حالكِ مسودٌ »

ويرى الليلة الجميلة :

« أشبهَ بالجاريةِ الغراءِ في حلةٍ شفاقةٍ سوداءِ »

وإذا تمثَّلَ الشمسَ منيرةً في كبد السماء ، تصوِّر له مخيلته المتقدمة

هذا المنظر تصويراً يعجز عنه قلم المصوِّر ، فيقول :

تبعثُ الشمسُ باهراتِ شعاعٍ تتندي بأبحدارها شبه رُبدٍ

فهي في الافق تارة مسحاتٌ من بهارٍ وقارةٍ نثرٌ وردٍ

وهي بين العصور نسج دقيقٌ من نضارٍ يشفُّ عن لازوردٍ

وإذا خاطب الغادة الحسناء ، قال لها :

أنت ابتسامٌ صيغ في قطرةٍ من الندى في قبسٍ من صباح

وإذا رأى قرطين ( حلقاً ) في أذن تلك الحسناء تصورهما « دُرّاً

جری من صدَف »

وإذا رآها مكحلةً بزهر الفل أعجب « بالورد يحمل فلا »

وإذا كانت تلك الغادة مقبلةً رآها :

« . . . كالغصن أثقله الجنى فال قليلاً واستوى متقوما »

وإذا وصف الصبية اللعوب الطروب ، قال فأبدع وصفاً وتشبيهاً :

« ضحاكةٌ كالتور في الزهر رقاصةٌ كالغصن في الوادي »

« كزارةٌ ككنيسة السحر ثرثرةٌ كالطائر الشادي »

وهل تكون مثل هذه الفتاة إذا نزل بها همٌّ الآ :

« كطائر راقهٌ غدبرٌ فرقةٌ جانحاً وطار »

وإذا عبث الهواء بشعرها قال :

« وتناثرت ضفُرُ الفتاة غنائماً سرت عن الأبصار طلعةً نجماً »

وإذا وصف الولد الذي لا يقرُّ له قرار ، قال :

« كزهرة روض نمرٌ بها فتلقها النسمُ السائر »

وإذا تكلم عن السفن الحربية المائسة على ظهر البحار وصفها

كالجن في جدِّ العواصف تلعب ، وإذا وصف سلطة الملك صاحب

الشوكة والاقْتدار ، قال :

« أنت الرجاء فأني شيء ترنجبي والروح أنت فأني شيء ترهب »  
 « والملاك جسم أنت فيه هامة ويداك مشرق شمسهِ والمغرب »  
 أو قال ايضاً فأجاد :

« وكان درة سيفه عين نرى ما تحت قائم سيفه آجلا »  
 فما أبلغ هذه الاستعارات والتشايه وما أجمل !  
 وإذا وصف جبلاً مزحلقاً صورته :

« كثير الثوم كأن الفتى اذا زل بهوي على مبرد »

وهو بيت من قصيدة عصماء عنوانها « فتاة الجبل الأسود » فيها من الوصف الفتان ما شاء الخيال وشاء التفنن . من ذلك انه عندما يصف جمال الفتاة وهي بارزة الى ساحة القتال لا يصفه كما وصف جمال غيرها من الحسان ، بل يراعي مقتضى الحال ، ويستعير كل صورته من التعابير الحربية ، فيقول :

« لهيب الحروب على وجنتيه والنقع في شعره الأسود »  
 « وفي عينه مثل برق السيوف وظل المنيعة في الأثمد »

وعندما تنكشف حقيقة هذا الفتى — أو بالأحرى هذه الفتاة — فتكشف عن صدرها أمام قائد الأعداء ، يُبدع خليل في وصفها أيما ابداع اذ يقول :

وأبرز نهدي فتاة كعاب بطرف حني ووجه ندي  
 كحقي لجين بقفلي عقيق وكزبن في رصد مرصد  
 فكبر مما رآه الأمير وهلل كل من الشهيد

وراعهمُ ذانك التوأمين وطوقاهما من دم الأكد  
 ووثبهما عند ما أطلقا الى ظاهر الدرع والمجسد  
 كوثب صغار الما الظامثات نقرن خفافاً الى مورد

ويطول بنا المقال لو جئنا على ذكر كل ما توحى المخيلة الى شاعرنا من لطائف الابتكار . وله قصيدة شهيرة في وصف بعلبك هي مجمع الصور وملعب الخيال . وقد جعلته بحق يسمى «شاعر بعلبك والاهرام» وبالأجمال فان خيال خليل يزين ويحسن ويحلي كل ما تقع عليه أبصاره ، فيحقق له ان يقول كما قال لعروس شعره :

وأبدلُ نور الشمس ما شاءتِ المنى عقيماً وتبراً ساكباً ونضارا  
 وأنظمُ من زهر الدجى لكِ خانماً وتاجاً وعقداً فاخراً وسوارا  
 وأصنعُ نوطاً باهراً من هلالها وأنسج من غزل الضياء دثارا

وهذا الذي وضع خليل في مقدمة شعراء الطبقة الاولى في الوصف . اما في الشعر القصصي والخطبة التي اختطها للنظم العربي في هذا الباب ، فقرأوا « عين الأم » و « نابليون الاول » و « ليمون يوسف افندي » و « حكاية شاعر » و « شهيد المرؤة » و « العصفور » و « العقاب » و « مقتل بزرجمهر » و « الطفلة البويرية » و « حكاية عاشقين » و « الجنين الشهيد » الخ تروا المقام الفريد الذي ناله خليل في هذا النوع على ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعراً . اذ يكون نظمه والحالة هذه بارداً جامداً ، نرتاح اليه ونجد فيه بعض البهجة ، لكنه لا يحرّك فينا ساكناً ، ولا يثير شعوراً كامناً ، كما نرى ذلك في شعراء الوصف ؛ فان هناك ركناً آخر يقوم عليه بيت الشعر وهو الحس او الشعور

## ٢ - الشعور

قال خليل مطران في مقدمة ديوانه : « وليس أكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الأمدامع ذرقها ، وزفرات صعدتها ، وقطع من الحياة بددتها ؛ ثم نظمها فتوهمت اني استعدتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط « شعر خيال » . بل هو ايضاً « شعر حياة » ومن القول ما يؤثر في النفس وان خلا من كل صورة ، لانه صورة الحياة الحقيقية . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . كقوله مثلاً في « مشاكاة » وهي من اوليات قصائده :

« أرى مثل شهدي في الكوكب      أحلُّ به مثلُ ما حلَّ بي  
 بهمُ هيامي من وجدِهِ      ويهربُ من مهدي مهربي  
 ونجتازُ هذا الفضاءَ الرحيبَ      إلا بنا فهو لم يرحبِ  
 فإ نجمُ ما النارُ تُفني حشاكُ      وما ميلُ مدمعك الصيبِ  
 أسيراً هوائكُ الى صاحبِ      يواخيك في همك المنصبِ  
 اما كلُّ ذي كافٍ متعبِ      شريكٌ لذي الكلفِ المتعبِ »

فهذه أبيات كلها رقة وشعور على خلوتها من الصور وأساليب البديع . وان في المواضيع الشعرية المبتكرة التي طرقها خليل لبرهاناً واضحاً على شعور كبير مقرون بخيالٍ حادٍ . فالحادثة البسيطة تهيج عواطفه وتثير اشجانه . فينظمها ويحييها نظمها محرراً كأعواطف قارئه مهيجاً احزانه . اسمة يتكلم عن مهد الطفل تظنه الأم الحنون :

وبهزّه خفقُ الفؤادِ على مناجاةِ الضمير  
 وإذا سمع ذلك الطفل يناغي في مهده ، فضل مناغاته على هديل  
 الطيور وتغريد البلابل

« ..... فكأنا أنشدَ علمَ الطيورِ النغما »

« وجمعَ الأملاكِ حولَ المهدي يُسمعها شدو المنى والسعدِ »

هو يشعر بالألم فيصور لنا الفؤاد المتألم :

« كشأو بأنيابِ الهومِ مبضعٍ » .

ويدري اي تأثير يصيب القلب المجروح فيمثل عواطفه المكسورة

« كجرحٍ قد ألقفه بلسي وإن هو مسّةٌ غيري أضامُ »

هو يفهم قيمة الدمعة التي قال «لامرتين» ان فيها من الشعر اكثر مما

في دواوين جميع الشعراء ، فيمثل لنا الدموع غاسلة كل إثم ، مطهرة من

كل دنس

هو ذاق من الحب حلوه ومرّه فيمثل لنا الحب تارة غاية الحياة ،

وطوراً الباعث على كل أمر عظيم

والحبُّ أزمُّ للارواحِ ما عظمت وقد يكونُ لها أدعى الى العظم

أما تحديده للحب فهو :

الحبُّ في المعنى العميم الكامل معنى المراحم والفداء الشامل

يعرف أن قلب الانسان يمش ويبنى من هذه الماطقة في وقت

مما فيقول :

اسكريني على اللوام وأفني مهجتي أدماً وعزمي حريقاً

وينصح اخوانه اذ يقول :

أحباي اتي مذ أقتت من الهوى شقي فكونوا الدهر فيه سكارى

أما الذي لم يدرك هذه العاطفة فهو لم يدرك سر هذه الحياة :

من لم يحب فما الصفاء له صفو وما أكاره كدر

ويرى الحياة ولا يعيش كما مرت على مرآتها الصور

ويقول عن قلبه وهو يعني كل قلب

يبني الشفاء من الروع ولا شفاء مع الروع

ألف الصباية فهي أم مرضع وهو الرضيع

والطفل يشقى بالفظام فكيف يقبله مطيع

لا متسع لدينا ايها السادة لذكر كل ما يجول في صدر شاعرنا الرحب  
من العواطف ، كحنينه الى الوطن ، وعطشه الى ذلك المنهل الصافي الذي  
روى صباه ، ووفائه لأصدقائه ونزوعه الى كل أمر نبيل . فان فؤاده  
كصحيفة حساسة ينطبع عليها كل ما يمر بها ، بل هو العنصر الرطب  
يميل به كل نسيم ، أو وجه البحيرة الصافي يحرّكه كل ريح . وهو القائل  
عن نفسه :

والذي درعه فؤاد رقيق فخرج إن يقتحم أو يقاوم

فمسكين ذو القلب الرقيق في معترك هذه الحياة اذ يبني

« وفي الجسم نارٌ يلدغ القلب وقدحا وفي القلب نارٌ مثلها تلدغ الجسم »

وإذا كان صاحب القلب الرقيق شاعراً من طبقة خليل فهو يصيح :

« أنا الأمل الساجي بعد مزافري أنا الأمل الداجي ولم يحب نبراسي »

« أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسي أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماسِ »  
 رفّت حواشي مهجته وشفّت عن محرّكات نفسه ، فسمعنا خفوق  
 قلبه ، ورأينا ذلك القلب كما يصوره :

« وقلبي مسروعُ الخفوق معلقٌ بمنهدمِ الأركان أجوفَ معتلٍ »

بل ما أبلغ التصوير وما أشدّ التأثير عندما ينادي :

الله في صدرٍ وهي وتقوّست منه العظامُ  
 خاو كجوف الفارء لأة الخواف والظلامُ  
 إلأ سراجاً حائلاً فيه يُنير بلا ابتسامِ  
 روحٌ تضيّ على ضرٍ يحجّ في صميم القلب قلمُ

المجال واسع لكتابة درس من أبلغ الدروس النفسية في شعور  
 الشاعر يُقتبس من شعر الخليل . بل ان في قصيدته « المساء » التي  
 أنشدها وهو عليلٌ في مكس الاسكندرية كفاية . فمن يطالعها يرى  
 « قلباً أذابته الصباية والجوى » ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره  
 الى البحر وهو :

ثار على صخر أصمّ وليت لي قلباً كهذي الصخرة الصماءُ  
 يتأبها موجٌ كعوجٍ مكارهي ويفتأ كالسقم في اعضائي  
 والبحرُ خفاقُ الجوانب ضائقٌ كدأ كصدري ساعة الامساءُ  
 تنشى البرية كدرةً وكأنها صعدت الى عيني من احشائي

ومن كانت هذه حاله يرى في غروب الشمس دمة تذرّفها الطبيعة

على موته فيجبال تلك الشمس المؤذنة بالزوال :

مرّت خلال غمامتين تمحّراً وتقطّرت كالدمعة الحمراء  
فكان آخر دمة للكون قد مرّجت بأخر أدعي لرائي  
فن منا لم يشعر بمثل هذه الكتابة . ولكن قليل من له مثل هذه  
المقدرة على إبراز هذه العواطف في ذلك القالب الفتان . يتمنى شاعرنا أن  
يكون له قلب « كالصخرة الصماء » ونحن نتمنى ان يبقى قلبه رقيقاً ، ليأتي  
بمثل هذه الآيات الينّات . فكما ان الشجرة لا يسيل ماؤها الا من  
جراحها فكذلك قلب الشاعر لا يسيل شعره الا من جراحه . أو كما  
أن العنقود لا يجود بعصيره الطيب ، ما لم تضغطه الآلة العاصرة ، كذلك  
قلب الشاعر ، لا يجود برقيق القول ، ما لم تضغطه يد الأحزان والشقاء...  
قال اسكندر دوماس بعد مطالعته ديوان فكتور هوغو ، وفيه ما فيه من  
توجع فؤاده : « فليتبارك الرب الذي يرسل لنا مثل هذه المصائب ،  
ليُخرج من صدرنا مثل هذا الهتاف البديع . . . »

## ٣ - العقل

أبها السادة . رأينا في شعر خليل عمل القوتين الأساسيتين في  
الشعر - أي الخيال والشعور ؛ وهما قوتان قد تشردان اذا لم يكن هناك  
قوة ثالثة - وهي العقل - تخفف من غلوائهما . وقد أصاب قدماء  
اليونان اذ صوروا الشاعر في مركبة يقودها جوادان جامحان - هما  
الخيال والشعور - وجعلوا زمامهما في يد « العقل » ، لتلايطوحا  
بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدّد الشعر بأنه « الفلسفة

تحمل زهراً ، وهذا ايضاً ما أراده خليل ، لما قال إن شعره « شعر خيال  
وحياة وحقيقة » . فهو الشاعر الفيلسوف الذي يعمق النظر في حوادث  
هذا الكون وعلاها ومعلولاتها ، ويستنتج منها العبر والحكم . وفي شعر  
خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . شهد الفيلسوف جول سيمون  
احتفالاً أقيم اكراماً لنا بليون الثالث ، فنظر الى الشعب المتجمهر الهائف  
هتاف النصر نظرة غضب وازدراء ، وقال لمن حوله « هكذا يخلقون  
الظلام . . . » هذا ما قاله الفيلسوف الافرنجي ، فاليكم ما قاله شاعرنا  
العربي عن كسرى وقومه :

هم حكوه فاستبدت بحكماً	وهم أرادوا أن يصول فصلا
والجهل داء قد تقادم عهده	في العالمين ولا يزال عضلا
لولا الجهالة لم يكونوا كلهم	إلا خلانق أخوة أمثالا
لكن خفض الاكثرين جناحهم	رفع الملوك وسود الأبطالا
وإذا رأيت الموج يسفل بعضه	أفيت تاليه طفي وتعالا
نقص لفطرة كل حي لازم	لا يرتجي معه الحكيم كلالا

فهذه أبيات كلها حكمة وفلسفة اجتماعية . ولا يشن شاعرنا النارة  
على السلطة بل يريد لها مبنية على العقل والتروي ، ألا وهو القائل  
« والحكم أعدل ما يكون جدالاً » ولكن هو الاستبداد يعل عليه مثل  
هذه الايات :

نعم هي دار الملوك عتيقة	ولكن غدت للفحش داراً وبشما
بناءً بمال الناس قام جباية	ولو ذوبوا تذهية لجرى دما

كذلك هو يشجب الاعمال الجائرة ايما رآها . اسموه يخاطب  
ملوك مصر بناء الاهرام

لم يُغْنِكُمُ مِنْهُ الْبِنَاءُ عَالِيَا      وَالْأَرْضُ نَهِيًّا وَالْمُلُوكُ أَعْبُدَا  
وَكَانَ يُغْنِيكُمْ جَمِيلُ الذِّكْرِ لَوْ      خَفَضْتُمْ اللَّحْدَ وَشَدْتُمْ بِالْهَدَى  
وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا :

مَعْرَةٌ الظُّلْمِ عَلَى مَنْ ظَلَمَ      وَحُكْمٌ مَنْ جَارَ عَلَى مَنْ حَكَمَ

كل هذا لأن الخليل فهم مهمة الكاتب ، ولا سيما الشاعر ، وهي  
مناصرة الخير ومناهضة الشر ؛ فاذا رأى القوي يعذب بحقوق الضعيف  
يهتف :

فِيمَ احْتِسَابِكَ لِلْقَلَمِ      وَالْأَرْضُ قَدْ خُضِبَتْ بِدَمِ  
سَدِّدِ قَوْمٍ سَنَانِهِ      فِي صَدْرِ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ  
الْيَوْمَ يَوْمَ الْقِسْطِ قَدْ      قَامَ الْأُولَى ظَلَمُوا فَعَمَّ

ثم يذبه قومه للنهوض من ثبات الجهل فيقول :

نَمْنَا عَلَى جَهْلِ وَقَدْ      عَاشَ الْكِرَامُ وَنَحْنُ لَمْ  
فَإِذَا انْقَضَتْ آجَالُنَا      فَمَنْ الرَّقَادِ إِلَى الْعَدَمِ  
وَإِذَا بُعِثْنَا بَعْدَهَا      فَكَيْفَ نَرُؤِيهَا حَلَمٌ

يرى الخليل أجيال الناس « تجي وتنتضي » . يرى الممالك « تشيد

بالصوارم » وتفنى بالمعائب . فبعد ذلك يقول :

وَلَمْ أَرَ شَيْئًا كَالْفَضِيلَةِ ثَابِتًا      نَبَتْ عَنْهُ آفَاتُ الْبَلِيِّ وَالْمَعَاظِبُ

ثم نراه ، وقد كادت المصائب تصرعه ، يصبح من قلب مكوم :

غلبتني صروف دهري على صب بري وأفته نارها في الملاحم  
 الأمان الأمان أقيت سفي وطويت اللواء تسليم راغم  
 ولكن إن هي الا نقشة مصدور، لا يلبث بعد تفريجها ان يعود  
 فيظهر مظهر الرجل الجلد :

شأنى مكافحة الخطوب اذا دجا تقع الحوادث في الليالي السود  
 وفي شعر مطران قصائد كثيرة تتطلب درساً مستقلاً لما جاء فيها  
 من المبادئ الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط  
 مثل « وفاء » و « العقاب » و « حكاية عاشقين » و « الجنين الشهيد »  
 و « الطفل الطاهر » الخ .



كل ما ذكرناه من المختارات بهي جميل — وهناك أيضاً غير ذلك  
 محاسن عديدة . وبدائع شتى — وهي على ما رأيتم فيها من الجمال والسناء  
 كالجواهر كانت اجمل واسنى لو رأيتموها منظومة في عقدها لا متشورة  
 مستقلة كما أوردتها

وقد عرف شاعرنا أن يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد ،  
 وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ؛ فاحترس بصيغة العرب في التعبير .  
 وادخل اساليب الافرنج في التأليف والتفكير . فكانت نتيجة ذلك انه  
 ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سن له  
 من القواعد القديمة . قلنا بلا تقييد ولا تقليد لأن خليلاً تزوع الى الحرية  
 في كتاباته كما هو شغف بها في حياته

هذا بعض الشيء عن شاعرية خليل مطران وعبقريته . وقد رأيت  
 ايها السادة الخطة الجديدة التي اختطها للشعر العربي — وهي خطة  
 المستقبل . فحق لنا بعد ذلك ان نعمة استاذاً علماً في هذا الفن . وحق  
 لعصرنا ان يفاخر به وبأمثاله من شعرائنا النابغين ابهى عصور اللغة العربية  
 أجل يا سادة ، جال الشعراء في عصر العباس جولة وصلوا بها جبل  
 النسب بين العصرين الزاهرين ، والعهدين الناضرين : عهد الرشيد  
 والمأمون ، وعهد عباسنا الميمون . فقدت في ذلك الالوية لابن الوليد  
 وابن هاني . وعقدت في هذا لشوقي وصبري وحافظ ومطران . فوضع  
 مولانا — حرسه الله — بيده الكريمة آية رضاه على صدر علمها الخفاق  
 فوق رأس فارسها السباق . كما يضع القائد شارة الفخر على لواء النصر —  
 ولفرسان البيان اسوة بفرسان الميدان



### ﴿ اليمين ﴾

انما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال : إما مهانة يجدها في نفسه  
 وضرعٌ وحاجةٌ الى تصديق الناس اياه ؛ وإما عيبٌ بالكلام حتى يجعل الأيمان  
 له حشواً ووصلاً ؛ وإما نهمةٌ قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلةً  
 من لا يقبل منه قولٌ الا بعد جهد اليمين ؛ واما عيبٌ في القول ، أو ارسال اللسان  
 على غير رويةٍ ولا تقدير

( ابن المقفع )

